

الحمد لله المتفضل بالنعمة، الغفور الرحيم لمن تاب إليه وأتاب، تفضل بالكثير علينا، وقبّل اليسير، لا شريك له ولا رب سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن اللسان نعمة عظيمة أنعم الله بها على بني آدم، فيه المنطق والبيان، وبه تتضح الحجة والبرهان: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}، واللسان يعتبر سلاح ذو حدين، فبه يكون ذكر الله عز وجل، وقراءة القرآن، وبه تكون الغيبة والنميمة، والقذف والبهتان والعياذ بالله عز وجل وسنذكر بعضاً من الأدلة من الكتاب والسنة على أن الإنسان مسؤول عن كل كلمة يقولها، وبيان خطر اللسان.

عبدالله: هل قرأت القرآن ومزّ بك قول الله عز وجل {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، هل تفكرت أخي الكريم في هذه الآية؟ إنها الضابط الشرعي، والواعظ الكبير {لَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}. أسمعت يا عبد الله؟ إنها رقابة شديدة، دقيقة رهيبة، تطبق عليك إطباقاً شاملاً كاملاً، لا تغفل من أمرك دقيقاً ولا جليلاً، ولا تفارقك كثيراً ولا قليلاً، كل نفس معدود، وكل هاجسة معلومة، وكل لفظ مكتوب، وكل حركة محسوبة، في كل وقت، وكل حال، وفي أي مكان، عندها قل ما شئت، وحدث بما شئت، وتكلم فيمن شئت، ولكن اعلم أن هناك من يراقبك، اعلم أن هناك من يسجل عليك، وأنه يعد عليك الألفاظ: {إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.

إنها تعينني وتعنيك أخي في الله {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} هذه الآيات والله إنها لتتهز النفس هزاً، وترجها رجاً، وتثير فيها رعشة الخوف، نعم إنه الخوف من الله عز وجل.

واسمع لواعظ الله عز وجل يقرع سمعك بآياته، وتهز قلبك إن كان قلباً مؤمناً يخاف الله عز وجل: {وَأِنْ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}، وقال: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}، وقال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} وقال {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وأخيراً قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ}، فربك راصد ومسجل لكلماتك، ولا يضيع عند الله شيء، فيا أيها المظلوم أما أن لك أن تطمئن بهذه الآية فلا تخف ولا تجزع، فإن ربك بالمرصاد، لمن أطلقوا العنان لألسنتهم في أعراض العباد، بالمرصاد للطغاة والمفسدين، فلا تجزع ولا تحزن أخي في الله قال الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، وقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}، وقال: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.

ولتزداد بيّنة وعلماً في خطر هذا اللسان الذي بين لحييك استمع لهذه الأحاديث باختصار:

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق) ، وفي رواية لمسلم: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، ومعنى "ما يتبين فيها" أي: لا يتدبرها ويتفكر في قبحها، ولا يخاف ما يترتب عليها، وهذه الكلمة عند السلطان وغيره من الولاة، وكالكلمة يقذف بها، أو معناه الكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم كشهادة الزور وغير ذلك، وكم من أناس شغلهم الشاغل في مجالسهم وهمهم الأكبر فلان وفلان، همهم بث الكلمات، ونشر الشائعات، وكم من كلمة قصمت ظهر صاحبها وهو لا يعلم، ولا شك أن فساد المجالس بسبب قلة العلم والاطلاع، وقد ضمن النبي عليه الصلاة والسلام الجنة لمن حفظ لسانه عن البذاءة والفحش فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) ، وروي عنه بلفظ: (من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة).

وفي حديث معاذ الطويل قال رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أخيرك برأس الأمر كله، وعموده وذروته، وسنامه؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟)، وبعض الناس قد يجهل أنه سيؤاخذ بكل كلمة تكلم بها سواءً خيراً أو شراً. احفظ لسانك أيها الإنسان.. لا يلدغتك إنه تُعبان.. كم في المقابر من قتيل لسانه.. كانت تهاب لقاءه الشجعانُ

وفي حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال في آخره: (قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه وقال: هذا).

ثم يوجه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لأُمَّته قاعدة شرعية ومعياراً دقيقاً لمن اختلطت عليه الأوراق، ويرشده إلى قطع الشك باليقين ليسلم من الحيرة والتردد فيقول كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). فانظر أخي الكريم إلى التربية النبوية من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وربط القلوب باليوم الآخر، ولما غفلت النفوس عن اليوم الآخر، وتعلقت بالدنيا وشهواتها ولذاتها، وغفلت عن التربية النبوية، ونسيت الحساب والعذاب، ونسيت الجنة والنار وغفلت عنها إلخ؛ انطلق اللسان في لحوم العباد وأعراضهم بدون ضوابط ولا خوفٍ ولا مراقبة.

أخي الكريم: اعلم أنه لا يصح أبداً أن يؤذي المسلم إخوانه المسلمين بلسانه، ولأن المسلم الصادق المحب الناصح هو من سلم المسلمون من لسانه ويده كما ورد ذلك في السنة من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ، إذا رُمّت أن تحيا سليماً من الردى . ودينك موفور وعِزُّك صَيِّن .. لسانك لا تذكر به عورة امرئ . فكلك عورات وللناس ألسن . وأخيراً: كم نحن بحاجة لمن يردد هذه الأحاديث على مسامع الناس، وكم نحن بحاجة لمن يذكر الناس بأمثال هذه الأحاديث ليتذكروها ويعوها، وليفهموها جيداً، حتى تتذكر النفس كلما أراد اللسان أن ينطلق بكلمة أن تحسب لها حسابها قبل أن تلفظ بهذه الكلمات. نسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يحفظ ألسنتنا من الكذب والغيبة والنميمة، ومن الكلام إلا في الخير، وأن يحفظ جوارحنا عن الحرام إنه على كل شيء قدير، أقول هذا وأستغفر الله

-----العظيم لى ولكم فاستغفروه

الحمد لله ناصر المستضعفين ، وقاهر الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولي المؤمنين الصادقين ، ولا عدوان إلا على المجرمين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . أما بعد

: قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه

خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبينما أنا في الطريق إذا أنا بسوادٍ على الطريق ،فتميزتُ ذاك فإذا هي عجوزٌ عليها رِع من صوفٍ وخمار من صوفٍ فقلت: السَّلَامُ عليكم ورحمة الله وبركاته (فقال: (سلاماً قولاً من ربِّ رحيم

فقلت لها : يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟!؟

(قالت : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام

، فعلمتُ أنها قضت حجَّها وهي تريد بيت المقدس

فقلت لها : أنت منذ كم في هذا الموضع؟!؟

(فقال: (ثلاثَ ليالٍ سويًّا

فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين؟!؟

(فقال: (هو يطعمني و يسقين

فقلت :فبأي شيء تتوضئين ؟

(فقال: (فإن لم تجدوا ماءً فتميموا صعيداً طيباً

فقلت لها :إن معي طعاماً فهل تأكلين ؟

!! ففالت : (ثم أنموا الصيام إلى الليل) فقلت : ليس هذا شهر رمضان

(قالت : (ومن تطوع خيراً فإن الله شاكرٌ عليم

.. فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر

(قالت : (وأن تصوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون

فقلت : لم لا تكلميني مثلما أكلمك؟

(قالت : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد

فتعجبتُ من ردها وقلت : من أيّ الناس أنت؟

(قالت : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا

.. فقلت : قد أخطأتُ فاجعليني في حلّ

(قالت : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم

فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

(قالت : (وما تفعلوا من خير يعلمه الله

(قال : فأنختُ ناقتي فقالت : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

.. فغضضتُ بصري عنها .. ولما أرادت أن تركبَ النَّاقَةَ فمزقتُ ثيابها

(قالت : (وما أصابكم من مصيبةٍ فيما كسبتُ أيديكم

.. فقلت لها : اصبري حتى أعقلها

.. فقالت : (ففهمناها سليمان) فعقلتُ النَّاقَةَ وقلت لها : اركبي

قالت : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) فأخذتُ بزمام النَّاقَةَ وجعلتُ أسعى

وأصيح

(فقالت : (واقصد في مشيكٍ واغضض من صوتك

.. فجعلتُ أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر

(فقالت : (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن

فقلت لها : لقد أوتيتم خيراً كثيراً

(فقالت (وما يدركُ إلا أولو الألباب) فلما مشيت قليلاً قلت لها : ألك زوج ؟

(قالت : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤُكم

فسكتُ ولم أكلمها حتى أدركتُ بها القافلة فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها؟

(فقالت : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا

فعلمت أن لها أولاداً .. فقلت : وما شأنهم في الحج؟

فقالت : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت لها القبابَ والعمارات فقلت هذه القباب فمن

لك فيها ؟

(قالت : (واتخذَ الله إبراهيم خليلاً) (وكلمَ الله موسى تكليماً) (يا يحيى خذ الكتاب بقوة

فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فإذا بشبان كأنهم الأعمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت : (فابعثوا

أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم بزرقي منه) فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه

بين يدي

(فقالت : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية

.. فقلت : الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها

فقالوا: هذه أمنا لها أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزلّ فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما

.. يشاء

(فقلت : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

" عباد الله " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً